وسائل العمل الصهيونى ١٨٩٧ ـ ١٩١٧

دكتور تاج السر أحمد حران*

تحاول هذه المقالة تبيان وتحليل الوسائل التى اتبعها الصهيونيون فى تحقيق انشاء دولتهم فى فلسطين فى الفترة منذ انعقاد أول مؤتمر صهيونى عالمى فى مدينة بال السويسرية فى أغسطس (آب) سنة ١٨٩٧ إلى إصدار وعد بلفور فى ٢ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩١٧ . ورغم أن الفترة بعد سنة ١٩١٧ مهمة «ومتممة» لموضوع هذه المقالة، إلا أنها فترة متميزة من تاريخ فلسطين لها طابعها الخاص ، وأهميتها الخاصة ، تحتاج لدراسة منفصلة (هى الآن رهن الأعداد ، وآمل أن ترى النور حالا) .

وسأحاول أيضاً وبصفة مختصرة ـ خوف الإسهاب ـ ايضاح أن أساليب العمل الصهيونى التى اتبعت فى تلك الفترة الهامة من تاريخ فلسطين ١٨٩٧ ـ ١٩١٧ ، لم يزل معظمها ـ ان لم تكن كلها ـ متبعا بواسطة ساسة دولة اسرائيل الحالية ، وان منطقية ، ونتائج ، واستمرار تلك الأساليب تكون ـ فى رأيى ـ تحد صهيونى خطير ليس لفلسطين وأهلها ، وإنما للرقعة العربية كلها .

أما الصهيونية التى نتحدث عنها فى هذه المقالة ، فهى الصهيونية السياسية العملية التى وضع جذورها مفكرون صهيونيون كثيرون كان ثيودور هرتزل أحدهم ، وهى الصهيونية التى وضعت أهدافها ووسائلها العملية فى مؤتمر بال والمؤتمرات التى تلته ، وهى باختصار مخطط رام إلى خلق دولة قومية

(*) الأستاذ بكلية الآداب ـ جامعة الخرطوم .

لليهود الصهيونيين فى فلسطين بشتى الوسائل ، وعلى حساب السكان الأصليين .

الخلفية التاريخية :

إن جذور الصهيونية — بعكس النظرة الشائعة — ليست قديمة ممتدة إلى تاريخ اليهود وثقافتهم ، وإنما هى حركة حديثة جدا ، تشكل ناحية فرعية من أصل الظاهرة القومية التى اجتاحت أوروبا فى القرن التاسع عشر . وليس بصحيح أن سنة ١٨٩٧ ، سنة انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى بال بسويسرا تحت زعامة هرتزل ، هى السنة التى شهدت مولد الحركة الصهيونية الحديثة . والواقع أن تلك الحركة فى هدفها الحديث الرامى إلى خلق دولة قومية لليهود فى فلسطين بدأت فى الثمانينات من القرن التاسع عشر ، وغذتها موجة القوميات التى اجتاحت أوروبا فى تلك الحقبة ، وقد كان هم الرواد الأوائل للصهيونية الحديثة دعوة اليهود إلى التخلص من الاعتقاد السائد أن العودة اليهودية إلى فلسطين لن تتم إلا عن طرق خارقة مثل الرجوع بواسطة المهدى المنتظر ، واقناعهم أن عودة اليهود ستتم عن طرق عادية وطبيعية[1] .

ورغم أن الكثيرين من اليهود والمسيحيين نادوا باعادة اليهود إلى فلسطين ، بدوافع مختلفة منذ القرن السابع عشر[2]. إلا أن تلك الدعوات بقت مثالية ، ولم تكتسب جدية إلا عندما كتب أمثال زفى هيرش كاليشر (١٧٩٥ — ١٨٧٤) الذى دعى فى كتابه « البحث عن صهيون » إلى أن حل المشكلة

---

(١) Esco Foundation for Palestine : **Palestine, A Study of Jewish, Arab and British Policies**, New Haven, 1949, Vol. 1 pp. 9 - 10.

(٢) **Ibid**, pp. 1 - 16.

تهويد فلسطين : إعداد وتحرير إبراهيم أبولغد — ترجمة أسعد رزوق — سلسلة كتب فلسطينية (٣٧) ، بيروت سنة ١٩٧٢ ، ص ٢٤ — ٢٨ .

اليهودية وخلاص اليهود لن يتما إلا على أيديهم باستعمار فلسطين فورا ودون تردد ، عن طريق الهجرة والاستعمار[1]. وكان هيرش منطلقاً فى كل ذلك من منطلقات دينية .

وقد تأثرت الحلول الصهيونية فى القرن التاسع عشر كما قلنا بالتيار القومى فى أوربا ، وتجلى ذلك الأثر فى آراء مؤسس هس(١٨١٢ — ١٨٧٥) التى بسطها فى كتابه « روما والقدس» وكذلك فى كتاب ليوبينسكر (١٨٢١ — ١٨٩١)« التحرير الذاتى » . والذى نادى فيه بالحل القومى للمشكلة اليهودية عن طريق تجميعهم كأمة فى فلسطين ، ودعى اليهود للمبادرة بحل مشكلتهم . وقد وجدت آراؤه هذه قبولا من أعضاء جمعيات « حب صهيون » المنتشرة فى روسيا فى سنة ١٨٨٢ والتى كانت تنادى بالعودة إلى فلسطين واستعمارها . وقد شارك بينسكر فى أعمال هذه الجمعيات[2] ومهد فكراً وتنظيما فى ارساء قواعد سليمة للحركة الصهيونية العالمية .

ولايفوتنا أن نذكر أن آراءه ونشاط الجمعيات هذه لاقت نقداً من أحد هاعام (١٨٥٦ — ١٩٢٧) منظر صهيونى ، وكاتب مقالات شهير ، ورائد الصهيونية الثقافية ، والذى كان يرى أن حل المشكلة اليهودية يكون عن طريق الإحياء الثقافى والروحى لليهودية[3] فى موطنها الحضارى الأصلى فلسطين .

واضح مما تقدم أنه على الرغم من تعدد آراء الصهيونيين حول السياسة العملية والفلسفة العامة ، إلا أنهم كانوا متفقين على نقطة أساسية ، بقيت دوما حجر الزاوية فى التفكير الصهيونى بتعدد مذاهبه وميوله وهى التركيز

---

(١) راجع آراءه فى
Israel Cohen, **The Zionist movement**, London, 1950, p. 50.

(٢) راجع آراء هس وبنسكر فى **Esco, Palestine, Vol. I, pp. 8 - 18.**

(٣) **Esco, Palestine, Vol. I, pp. 18 - 22.**

على فلسطين كمحط لآمالهم القومية ، وكموطنهم القومى فى المستقبل ، ومن ثم تفكيرهم المستمر فى الهجرة اليه واستعماره . ولم يكن غريبا إذن أن حاول بعض الصهيونيين ايهامنا أن الدعوة الصهيونية دعوة قديمة ضاربة فى القدم ترجع أصولها إلى التوراة ذاتها بدليل أن مبدأ العودة إلى فلسطين مبدأ دينى توراتى حلم به اليهود على مر السنين[1]، فقد كتب الزعيم الصهيونى الأميركى القاضى برانداييس ما ترجمته ، « منذ تهدم الهيكل لألفى عام والحنين إلى فلسطين لم يبرح قط أفئدة اليهود[2] » . ولسنا فى حاجة للتدليل على خطأ هذه الدعوى الصهيونية بأكثر من قولنا إن الصهيونية كدعوة قومية عنصرية دعوة حديثة جدا وهى دعوة علمانية واقعية لامذهبية ، قامت بأسباب سياسية وليست لأسباب دينية كتحقيق النبوءات اليهودية القديمة بالعودة إلى فلسطين . وقد استعمل بعض الصهيونيين هذا السلاح الدينى الرومانطيقى طمعاً فى تأييد يهود العالم للحركة الصهيونية السياسية ، خاصة وأن هذه الحركة حظيت منذ مولدها وتحظى حتى الآن بمعارضة ملموسة من بعض اليهود ورجال الدين اليهودى .

الصهيونية السياسية :

أهدافها ووسائلها :

ونشأت الصهيونية السياسية مرتبطة تماما بثيودور هرتزل (١٨٦٠ — ١٩٠٤) اليهودى المجرى الذى عمل بالصحافة فى فينا ، وبكراسته عن « الدولة اليهودية » التى نشرها عام ١٨٩٦ . والتى حاول فيها ايجاد حل سياسى للمسألة اليهودية ، كمسألة قائمة لاسبيل لإنكارها ، موجودة أينما وجد اليهود بأعداد كبيرة ، والتى هى فى رأيه ليست مشكلة دينية أو اجتماعية وان كانت لها ظلال فى ذلك المعنى ، وإنما هى مشكلة قومية ، ولحلها لابد من تحويلها إلى

---

(١) See : N. Nentwich, **Palestine**, London, 1934, p. 60.

(٢) See : N. Sololow, **History of Zionism**, London, Vol. I, p. XI.
L. Brandeis : On Zionism, New York, 1942, pp. 24 - 26.

مسألة سياسية عالمية ، يواجهها كل العالم وتحاول مجتمعاته المنحضرة مناقشتها وتقديم المقترحات لحلها . ويرى هرتزل أيضاً أن حركة اللاسامية مع أسباب أخرى يذكرها فى كتابه ، لن تمكن اليهود من الانصهار الكلى فى المجتمعات التى يعيشون فيها ، ومن ثم لن تكون عملية الانصهار والاندماج هذه حلا أساسيا ومرضيا للمسألة اليهودية ، إذ أن اليهود — فى رأيه — قوم برهنت الحوادث التاريخية أنه لايمكن تحطيمهم كقوم وكشعب ، وأنهم باقون وسيبقون ، والحل السياسى الذى يقدمه هرتزل للمشكلة اليهودية هو « منح اليهود سيادة على رقعة متسعة من أرض المعمورة ، تفى بالمطالب الشرعية لأمة (شعب) ، والباقى سنعتنى به أنفسنا » . يعنى اعطاؤهم الأرض ، وما تبقى من عمل سيقوم به اليهود أنفسهم[1] .

ولم يصر هرتزل على بقعة معينة ، وإنما ترك الخيار مفتوحا بين الأرجنتين الواسعة الخصبة ، وبين فلسطين « وطننا الأزلى الذى يعيش فى وجداننا والتى سيجذب اسمها السحرى سواد اليهود اليها .. وسيختار اليهود عن طريق تنظيماتهم أى البلدين[2] .

كما أوصى هرتزل بانشاء الجمعيات التى تساعد المهاجرين اليهود على التوطين ، وقرر أنه لافائدة من الهجرة اليهودية إن سمح لليهود بالانصهار فى مجتمعهم الجديد ، وإنما يجب إعطاؤهم ذاتية وسيادة فى موطنهم الذى سيختارونه . كما أنه يتحتم أن تكون الهجرة اليهودية جماعية وباعداد كبيرة من أوروبا وعلى فترة زمنية قد تطول .

كما أن هرتزل مضى ليفصل فى خطة العمل بعد وصول المهاجرين إلى

---

(١) Also, **Theodore Herzl, A Biogrophy,** Philadelphia, 1940, pp. 160 - 161.
Also, Theodore Herzl, **The Jewish State,** (translated by Syline d'Avigdov), 1934, p. 28.

(٢) T. Herzl, **Jewish State,** p. 29.

موطنهم الجديد ، وهى باختصار الانصراف إلى بناء الطرق ، وسبل الرى وفلاحة الأرض . ذلك أن هذه الأعمال ستنشط التجارة ، وستخلق هذه التجارة أسواقا جديدة ، وستجذب هذه الأسواق كثيراً من اليهود للاستيطان فى الأرض الجديدة . وستعتمد الدولة فى كل ذلك على التكنولوجيا الحديثة ، والسبل العلمية السليمة ، حتى تكون دولة مثالية وقيادية فى كل هذه الأوجه : وسيكون العمل حقا وواجبا ، حدد ساعاته هرتزل بسبع ساعات[1] .

أحدثت آراء هرتزل هذه رد فعل عنيف بين اليهود ، الذين انقسموا بين معارض ومؤيد ، وطفق هرتزل يعمل لفكرته عملا متصلا بلغ ذروته يوم انعقد المؤتمر الصهيونى الأول فى بال فى أغسطس (آب) سنة ١٨٩٧ تحت زعامته ، وحضره حوالى ١٩٧ مندوبا صهيونيا ، وناقش فكرة انشاء الدولة اليهودية ، فقد أعلن هرتزل فى خطابه الافتتاحى هدف المؤتمر بقوله : « اننا هنا لنضع حجر الأساس للبيت الذى سوف يأوى الأمة اليهودية » . وانتهى المؤتمر بوضع برنامج صهيونى مفصل ، نجمله فى الآتى : — « ان هدف الصهيونيين هو خلق وطن فى فلسطين للشعب اليهودى يضمنه القانون العام » بالوسائل الأربع التالية :

١ — تشجيع الهجره الصهيونية (سميت يهودية) إلى فلسطين .
٢ — تنظيم يهود العالم كافة وربطهم سويا بواسطة الطرق الملائمة .
٣ — تقوية ورعاية المشاعر والإحساسات القومية لدى اليهود .
٤ — اتخاذ كل الخطوات الأولية للحصول على موافقة الأوساط الدولية الرسمية (كلما دعت الضرورة) للوصول بالصهيونية إلى أغراضها[2] .

---

(١) Ibid.
Also Esco, Palestine, pp. 34 - 35.

(٢) Walid Khalidi (ed.), From Haven to Conquest, Beirut, 1971, p. 89.
سامى هداوى — ملف القضية الفلسطينية ، (أبحاث فلسطينية رقم ٧) بيروت ١٩٦٨ ، ص ١١ .

ولعله تجدر الإشارة إلى الحقائق الهامة التالية حتى لاتغيب عن البال فى زحمة السرد والتحليل وهى :

١ — أن تلك الأهداف التى أجازها مؤتمر بال فى سنة ١٨٩٧ بقيت حتى يومنا هذا هى المهمات الأساسية للحركة الصهيونية : تشجيع اليهود للهجرة وتجميعهم فى فلسطين . كسب اليهود للفكرة الصهيونية ، والحصول على تأييد الدول الأجنبية . وما أشبه اليوم بالبارحة .

٢ — انه وبالرغم من أن الهدف الأساسى الذى أعلنه مؤتمر بال هو « خلق وطن قومى لليهود فى فلسطين يكفله القانون العام » ، إلا أن نية اليهود التى صرح بها هرتزل وغيره ، والواردة فى محاضر المؤتمر ، كانت تتجه منذ البداية إلى خلق دولة يهودية ، وليس وطنا .. وإنما استعملت لفظة وطن لذر الرماد فى العيون ، وخوفا من رد الفعل والتعقيدات الدولية التى قد تنجم عن استعمال كلمة « دولة » ، رغم أنها هى الكلمة المقصودة .. ويتجلى ذلك فى قول هرتزل عندما احتدم النقاش حول أى الكلمتين أصلح — وطن أم دولة « لادا عى للانشقاق ، فان الشعب سيقرؤها دولة على أى حال[١] » . ومن ثم لسنا بمجافين للحقيقة إن قررنا أن التمويه الذى اتبعه الصهيونيون فى هذا الأمر الهام ، هو سمة متكررة فى دعوتهم الصهيونية ، وفى أساليب عملهم فى الماضى والحاضر .. وهو أمر كثير ما غاب عن أذهان جمع من الباحثين والدارسين لبعض أوجه المسألة الفلسطينية ، ومن ثم وجب التنويه .

٣ — إن الصهيونية بتبنيها برنامجا قوميا يرمى إلى إقامة دولة يهودية مستقلة فى فلسطين ، اعتبرت أن اليهود يكونون شعبا بكل ماتحمل هذه الكلمة من معنى ، لهم الحق فى الحياة كأمة على رقعة من الأرض ، وهى أرض

---

(١) Jacob de Haas, Theodore Herzl, A Biogrophical Study, Chicago, 1927, Vol. I, pp. 194.

الميعاد — ومن ثم اعتبرت الصهيونية نفسها ممثلة لكل اليهود ، وأن وطنها القومى هووطن قومى لكل اليهود ، بحكم انتماء كل يهودى إلى الأمة اليهودية .. وهذا الاعتقاد هوأيضاً تناقض وقعت فيه الصهيونية ، وزيف يعيش عليه قادتها .. والواقع أن هذا الخلط بين الصهيونية واليهودية الذى تعمد قادتها أن يخلقوه فى الأذهان لجد مفيد للحركة الصهيونية فى تكتيكها الإعلامى — الدعائى الذى كثيراً ما اعتمدت وتعتمد عليه فى كسبها للرأى العام المتعاطف .

ورغم تلك الحقائق التى قررناها ، فان مؤتمر بال كان نقطة تحول فى تاريخ الصهيونية ، فقد كوّن تحولا جذريا فى الاستراتيجية الصهيونية حيث قرر المؤتمر الاستعاضة عن الاستعمار الغير منظم — الاستعمار الذى كانت تدعمه بعض المنظمات والأفراد اليهود كعمل خيرى والذى كان ساريا منذ سنة ١٨٨٢ وحتى سنة ١٨٩٧ الاستعاضة عنه ببرنامج قومى له أهدافه السياسية الواضحة .. ففى بال توحدت الأفكار والحلول الصهيونية فصارت عقيدة صهيونية لها أهدافها الثابتة ولها استراتيجيتها ووسائلها المادية والبشرية . وانطلقت تلك الحركة الصهيونية تحت زعامة هرتزل تعمل وفق مخططها وعن طريق مسالك ثلاثة هى : — التنظيم ، والاستعمار ، والدبلوماسية[1] .

ولقد أعطيت الجهود التنظيمية مرتبة الأولوية ، لحاجة الحركة إلى جهاز يدير شئونها ويرعى أمر الهجرة ويشرف على الاستعمار . وكان أول انجاز للمؤتمر بعد إقرار البرنامج الصهيونى ، انشاء أول منظمة صهيونية بكل أجهزتها القيادية التى واجبها متابعة التنفيذ والقيام بأمر الدعوة بين انعقاد المؤتمرات .. كما شملت تلك الجهود التنظيمية ، رسم علم صهيونى وصياغة نشيد قومى[2] .

---

(١) فائز الصائغ ، الاستعمار الصهيونى فى فلسطين (ترجمة عبد الوهاب الكيالى ، سلسلة كتب فلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ١٠ — ١٣ .

(٢) Esco, **Palestine, Vol. I, p. 42.**

وكذلك أنشئت أدوات الاستعمار المنظم ، المصرف اليهودى للمستعمرات سنة ١٨٩٨ ، ولجنة الاستعمار سنة ١٨٩٨ ، والصندوق القومى اليهودى سنة ١٩٠١ ، ومكتب فلسطين سنة ١٩٠٨ ، وشركة أراضى فلسطين سنة ١٩٠٨ ، وكان غرضها كلها تخطيط طريقة استعمار فلسطين ، وتمويلها والإشراف عليها. وللتدليل على ما نقول سأتحدث فى إيجاز عن اثنتين من تلك الأجهزة ، هى :

صندوق الائتمان اليهودى للاستعمار :

ويسمى أيضاً بالمصرف اليهودى ، وهو بمثابة الأداة الرئيسية لتقوية النفوذ الصهيونى فى فلسطين وهو المنظمة المالية التى ستعاون المنظمة الصهيونية سياسيا وديبلوماسيا فى مفاوضاتها واتصالاتها مع الدولة العثمانية .. ومن ثم فهو سلاح سياسى ومالى ، وقد حصر نشاط هذا المصرف فى تدعيم المستعمرات الزراعية اليهودية بالتسليف ، وعهد اليه شراء الأرض وتقسيمها إلى حصص ، وانشاء المؤسسات الصناعية وغيرها فى الشرق باستخدام اليد العاملة والطاقات العمالية اليهودية .. وكذلك دعم المؤسسات والمشروعات التجارية فى كل من سورية وفلسطين ، ثم تأسيس بيوتات مصرفية لتحقيق الأغراض المنوطة به .

ومن ثم كان غرض هذا المصرف اليهودى تشجيع الهجرة اليهودية إلى سورية وفلسطين ، وتوظيف الأموال اليهودية بغرض تشجيع الاستعمار وفرض سيطرة اقتصادية صهيونية فى فلسطين . فلم يلبث المصرف أن فتح فروعا وشركات تابعة له فى كل من يافا والقدس وحيفا ، مثل « شركة انجلو – فلسطين » بغية تمويل المشروعات الاستعمارية الصهيونية فى فلسطين . ووضح أن منشئوا هذا المصرف اقتفوا أثر « شركة الهند الشرقية » ودورها فى ترسيخ الاستعمار البريطانى فى الهند وجنوب شرقى آسيا[1] .

---

(١) أسعد رزوق ، الصهيونية وحقوق الإنسان - العربى (٢) ، دراسات فلسطينية (٤٨) بيروت سنة ١٩٦٨ ، ص ١٩ – ٢٤ .

الصندوق القومى اليهودى :

أسس بناء على اقتراح من هرتزل فى المؤتمر الخامس سنة ١٩٠١ ، وهو أيضاً مؤسسة تابعة للمنظمة الصهيونية العالمية غرضها : « إيجاد رأس المال الثابت لابتياع الأراضى العربية فى فلسطين وجعلها ملكا دائما للشعب اليهودى بأكمله » وتمكين العمال اليهود الفقراء من الاستيطان فيها ، والالتزام بالمبدأ الذى يخول اليد العاملة اليهودية وحدها حق العمل فى الأرض اليهودية[١] .

وواضح أن الصندوق الذى لايزال حتى الآن يمارس نشاطه بايجاد المستوطنات واستعمارها ، وتجفيف المستنقعات ، واستصلاح المزيد من الأرض ، كما كان يسعى فى أيامه الأولى لامتلاك الأرض كمقدمة لطرد العرب منها ولتمليكها للأمة اليهودية . وهذه وسيلة صهيونية فى العمل معروفة ومألوفة . وللصندوق أجهزة عاملة « فى خدمته »مثل شركة تطوير أراضى فلسطين التى تأسست سنة ١٩٠٨[٢] .

هذه بعض الأجهزة التى ابتدعها الصهيونيون بعد مؤتمر بال بغرض تنفيذ استعمار فلسطين،وبمعنى آخر هذا مثال لبعض أساليبهم فى تحقيق البرنامج الصهيونى كما اختطه ذلك المؤتمر فى سنة ١٨٩٧ ، ولايسع المرء الإشارة إلى منطقية واستمرارية هذه الأساليب التى مازالت تواصل عملها فى دولة اسرائيل الحديثة .. والتى تشير إلى دقة وتكامل المخطط الصهيونى والذى يكون فى مضمونه التحدى الأكبر لفلسطين وللمنطقة العربية بأسرها .

جهود هرتزل الديبلوماسية :

ولعل دقة ذلك المخطط واستمراريته ومن ثم تحدياته تتجلى بصفة أوضح فى المسلك الثالث الذى اختطه هرتزل طريقاً للعمل ، وهو المسلك الديبلوماسى

---

(١) نفس المصدر ص ٢٤ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٥ – ٢٨ .

الرامى إلى شراء أرض للصهيونيين عن طريق مساومات ديبلوماسية . ولئن فشل هرتزل فى تحقيق غرضه ذلك ، فقد نجح فى جوانب أخرى ، وسنتعرض لها فى حينها ، كما نجح خليفته حايم وايزمان فى الوصول عن الطريق الديبلوماسى إلى تحقيق هدف الصهيونية الأساسى باقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، يوم أن تكللت مساعيه الديبلوماسية مع الحكومة البريطانية باصدار وعد بلفور الشهير فى ٢ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩١٧ .

وكان هرتزل كقائد للحركة الصهيونية منذ مؤتمر بال وحتى وفاته فى سنة ١٩٠٤ يرى أن حجر الأساس فى المشروع الصهيونى هو الضمان الدولى لإقامة الوطن اليهودى فى فلسطين ، وان الهدف الصهيونى خال من كل معنى دون موافقة وسند الدول الأجنبية ذات الشأن .. وهو خط لازال زعماء الصهيونية يسيرون عليه حتى اليوم .

وعليه فقد ركز هرتزل كل جهوده فى الحصول على ذلك الضمان الدولى لقيام الدولة اليهودية . وكان شعاره فى تلك المحاولات المبدأ الذى قرره فى مذكراته ، القاضى باستعمال جميع الوسائل لتحقيق الغاية[١] لاسيما أنه كان قد قرر أنه ضد تسلل اليهود التدريجى إلى فلسطين ، وأنه يرى تركيز كل الجهود الديبلوماسية للحصول على فلسطين فى ظل القانون الدولى[٢] .

وبدأ هرتزل خط سيره الديبلوماسى والذى لم يحد عنه خلفاؤه حتى اليوم ، فلجأ إلى (أحد ملوك أوروبا الأقوياء) الإمبراطور الألمانى غليوم الثانى ، لتجنيد سنده للبرنامج الصهيونى .. وهذه بلاشك بداية سياسة « الجرى وراء الأقوياء[٣] » سياسة ابتدعها هرتزل يوم اتجه نحو ألمانيا وتابعها حايم

---

(١) Harry Zohn (trans), The Complete Diaries of Theodora Herzl, London, 1960, Vol. 4, p. 1616.

(٢) أحمد طربين ، فلسطين فى خطط الصهيونية والاستعمار ١٨٩٧ - ١٩٢٢ ، القاهرة سنة ١٩٧٠ ص ٦٣ .

(٣) أحمد بهاء الدين : إسرائيليات - أو ما بعد العدوان ، العدد ٢٠٠ من الهلال ، نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩٦٧ .

وايزمان ورفاقه يوم اتجهوا إلى بريطانيا ، ويتبعها اليوم حكام اسرائيل بالاتجاه إلى أمريكا . وكان رأى هرتزل أن العيش تحت حماية ألمانيا القوية والمنظمة سيكون عميم الفائدة على الخلق القومي اليهودى ، وأنه سيعطى الصهيونية دعامة قانونية كافية(١) .

وعليه فقد اجتمع هرتزل خلال سنة ١٨٩٨ إلى الإمبراطور غليوم الثانى خلال رحلة كان يقوم بها فى الامبراطورية العثمانية ، وعرض عليه انشاء شركة لاستعمار الأراضى فى فلسطين يقوم بها الصهيونيون تحت اشراف وحماية ألمانيا(٢) ، وتدعى بعض المصادر الصهيونية ان الامبراطور قد تحمس بادىء الأمر لاقتراح هرتزل مدفوعا بصورة جزئية ، باعتبارات معادية للسامية(٣)، ومهما يكن من أمر فان الامبراطور رفض الاقتراح عندما قابله هرتزل مرة أخرى فى القدس فى نوفمبر (تشرين الثانى)من نفس العام ١٨٩٨ ،لأن مشروع هرتزل قد يثير الدول الأوربية الأخرى التى لها مصالح فى الامبراطورية العثمانية ، مثل بريطانيا وفرنسا وروسيا ، والتى تعارض ازدياد النفوذ الألمانى فى الامبراطورية . كما أن الامبراطور خشى أن يؤثر الاقتراح على علاقته الحسنة بالسلطان العثمانى الذى قد يظنه تدخلا فى شئون امبراطوريته(٤)

وعندما أيقن هرتزل أن مشاريعه فى فلسطين تتجاوز القدرة الألمانية فقصد الباب العالى مباشرة فى سنة ١٩٠١ ، حيث حاول اجراء مفاوضات مباشرة مع السلطان عبد الحميد الثانى . وتجدر الإشارة أن السلطان قابله فى تلك المرة بصفته مراسلا صحفيا ، وليس كزعيم للحركة الصهيونية(٥) ، وان

---

(١) يوميات هرتزل : ترجمة وتحرير مارفن لوفنشال (نيويورك) ١٩٥٦ ص ١٠٥ ، كما أوردها ابراهيم أبو لغد : تهويد فلسطين ص ٤٩ .

(٢) Esco, Palestine, Vol. I, p. 43.

(٣) Ibid.

(٤) Ibid.

(٥) Ibid.

مقابلاته الأخرى مع السلطان لم تكن مباشرة ، وقد تركز اقتراح هرتزل للسلطان فى السماح بهجرة صهيونية جماعية إلى فلسطين على أن يقدم رأس المال الصهيونى معونات مالية للدولة العثمانية تساعدها على دفع ديونها ، وعلى تعمير أراضيها ، ومواردها الطبيعية[1] ولكن السلطان رفض قبول مبدأ الهجرة الجماعية ، كما رفض الجوانب القومية لتلك الهجرة ، ورضى — ولأسباب انسانية — السماح لبعض اللاجئين اليهود بالهجرة واستيطان أجزاء متفرقة من امبراطوريته[2] .

وقد كان واضحا أن كلا من السلطان عبد الحميد وهرتزل كانا لا يثقان ببعضهما، وقد تجلى خوف السلطان من المطامع الصهيونية فى رده الشافى لهرتزل فى المرة الأولى : « انصحوا الدكتور هرتزل أن لا يتخذ خطوات أخرى فى هذا الموضوع ، لأننى لا أستطيع أن أبيع شبرا واحدا من الأرض ، لأنها ليست لى ، وإنما ملك لشعبى . لقد ناضل شعبى فى سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمه ، وسنحافظ عليها بدمائنا قبل أن تقتلع منا . فليحتفظ اليهود بملايينهم ، فاذا مزقت امبراطوريتى ، فلعلهم آنذاك يستطيعون أن يأخذوا فلسطين بلاثمن . ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق فى جثتنا ، فانى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة[3] » .

وواضح أن عبد الحميد كان متخوفا من خلق كيان يهودى قومى فى جزء من امبراطوريته فى وقت كانت فيه الدولة العثمانية تعانى من انتشار مبدأ القوميات بين بعض عناصرها .. انتشاراً هدد بقاء الامبراطورية ذاتها .. كما أن قول عبد الحميد تنبأ بطريقة ذكية بما حدث فى أرض فلسطين فى المستقبل..

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

(٣) Diaries, p. 378 ; see also : N. Mondel, "The Jewish Immigration into Palestine 1882 - 1914", St. Antony's Papers, No. 4, Oxford.

وأخيراً ربما كان السلطان عبد الحميد محقاً فى عدم ثقته بهرتزل ووعوده .. فقد كان واضحا مثلا أن الأموال الصهيونية التى وعد بها هرتزل لم تكن حقيقة ، ذلك أن هرتزل كان يعتمد فى ايجاده ذلك المال على الممولين اليهوديين ، بارون هيرش وبارون روتشلد ، وكلا الرجلين لم يكونا متفقين مع برنامج وأهداف هرتزل السياسية ، ولم يكونا مستعدين لسنده ماديا[1] .

مضافا إلى ذلك لم يكن هرتزل مخلصا ، واضحا فى معاملاته مع السلطان العثمانى ، فرغم تظاهره باحترامه وتأييده إلا أنه كان يضمر احتقارا شديداً له ولنظامه ، وكان فوق هذا يتوقع نهاية الامبراطورية ، ويرجو الاستفادة من ذلك ، ومن ثم كان التعارض بين ما أضمره وما أعلنه — ففى الوقت الذى حاول فيه ايهام السلطان باخلاصه ، وبأنه يريد منه فلسطين لليهود الذين سيكونون رعايا عثمانيين مخلصين ، فقد سعى إلى خلق دولة صهيونية فى فلسطين تحت حماية أوربية[2] . وهذه الازدواجية فى الأسلوب وتعمد التمويه والغموض ، هما سمتان من سمات العمل الصهيونى فى الماضى والحاضر .

وعليه فلم تثمر المفاوضات بين هرتزل والسلطان العثمانى . ومرة أخرى خاب هرتزل فى مسعاه الرامى إلى إقامة كيان يهودى فى فلسطين ، عن طريق المساومات الدبلوماسية وقد اتبع هرتزل هذا الأسلوب فى العمل ، كما قرر صهيونى آخر هو هارى ساشر لأن تفكيره أوروبى فقد ظن هرتزل أن باستطاعته عن طريق المال اليهودى ، وتعاطف الدول الكبرى ورضاء السلطان خلق الدولة اليهودية فى فلسطين . وظن هرتزل أن السلطان فى حاجته للمال ، وخوفه على مصير امبراطوريته ، سيكون على استعداد لمنح المنظمة الصهيونية ميثاقا

---

(١) G.H. Jansen, Zionism, Israel and Asian Nationalism, Beirut, 1971, pp. 91 - 92.

(٢) Ibid.

يتيح لها إقامة مستعمرات فى فلسطين تتمتع بحكم ذاتى ، وأن الدول الأوربية الكبرى ستتعاون فى الأمر رغبة منها فى إيجاد حل للمشكلة العثمانية .. وعليه فقد ظن هرتزل أن المال اليهودى سيضع أهله (اليهود) فى فلسطين[1].

وقد وصف حايم وايزمان برنامج هرتزل بكلمات أشد عنفا وأقل عطفاً حين قال : « هناك يهود أغنياء وآخرون فقراء . وليس هناك منطق أقوم وأحسن من أن تجعل اليهود الأغنياء يعطون المال للسلطان ، ليدع اليهود الفقراء يذهبون إلى فلسطين[2] » . وكأنما وايزمان محق فى سخريته من برنامج وأسلوب هرتزل لأن أساليب هرتزل لم تؤت ثمارها وإنما باءت بالفشل مع الإمبراطور الألمانى ، والسلطان العثمانى ، وحتى مع الحكومة البريطانية حين دخل معها هرتزل ومعاونوه فى سنة ١٩٠٢ فى مفاوضات بغية الحصول على موافقتها لمشروع استيطانى صهيونى فى قبرص ، وفى اجزاء من شبه جزيرة سيناء ، وفى يوغنده .

لم يتخل هرتزل قط عن غايته الصهيونية وهى إقامة دولة فى فلسطين يضمنها القانون العام ، وإنما واصل جهوده رغم رفض الحكومة العثمانية ، فقد درس هرتزل احتمال استعمار إقليم العراق العثمانى ، وذلك أنه ادعى فى مذكراته أن السلطان وعده بالسماح له باقامة مستعمرات يهودية فى العراق وفى سنجق عكا عن طريق فتح باب الهجرة اليهودية إلى تلك الأقاليم[3] .

وفى الوقت الذى فكر فيه هرتزل فى إقليم العراق ، حاول الحصول من بريطانيا على حقوق استعمارية فى قبرص وسيناء والعريش وشرق أفريقيا ،

---

(١) H. Sacher, "Zionism and its programme" Sociological Revue 1912, as quoted in Jansen, **Zionism**, p. 90.

(٢) C. Weizmann, **Trial and Error : The Auto Biography of Chaim Weizmann**, London, 1950, p. 62.

(٣) **Diaries, Vol. 4, p. 1503.**

وسنرى أن محاولات هرتزل تلك لم يكن معناها التخلى عن هدفه الأساسى : إقامة دولة صهيونية فى فلسطين ، وإنما كانت كلها وسائل تمهيدية نحو ذلك الهدف الأكبر .

ورغم أن هرتزل لم يكن هو الداعية الأكبر لمشروع استعمار قبرص ، فقد كان الصهيونى دافيد تربتشن هو رائد تلك الدعوة ، ورغم أن قبرص ظلت أملا بعيداً يداعب أفكار هرتزل ، إلا أنه قام بعدة مبادرات ديبلوماسية فى سنة ١٩٠٢ للحصول من بريطانيا على إذن بإقامة مستعمرات يهودية هناك وفى العريش ، وقد ربط هرتزل مصير استعمار قبرص بنجاح استعمار سيناء والعريش(١) . ومن المحتمل أن هرتزل فكر فى استعمار قبرص كحل عاجل ومؤقت لمشكلة بعض الجماهير اليهودية الفقيرة والواقعة تحت الاضطهاد آنذاك .. كما فكر أيضاً فى جنوب أفريقيا وأمريكا .. والواقع أن هرتزل كان يرى أن استعمار قبرص أو سيناء ماهو إلا خطوة نحو الحصول على فلسطين(٢) ، وأنه ربط بين استعمار قبرص وبين خدمة المصالح البريطانية والاستعمارية فى المنطقة ، كما أنه ركز بشدة على كسب تأييد وزير المستعمرات البريطانى (جوزيف تشمبرلين) لمشروع استعمار قبرص وسيناء(٣) — وقد وضح هرتزل فى كلا الوسيلتين ، أسلوب العمل لخلفائه فى المستقبل ، فربط المشاريع الصهيونية بالمشاريع الأوربية والامبريالية ، والتركيز على نيل سند رجال السياسة الأوربية لتلك المشروعات ، خطة سار عليها قادة الصهيونيين منذ عهد هرتزل وحايم وايزمان إلى عهدنا هذا ، وهى وسيلة — رغم اختلاف البعض

---

(١) Diaries, Vol. 4, pp. 1360 - 1362

(٢) Diaries, Vol. 2, p. 644.

أيضاً : عبد الوهاب الكيالى ، المطامع الصهيونية ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٣) ريتشارد ب ستفنز : « الصهيونية كمرحلة من مراحل الإمبريالية الغربية » فى: إبراهيم أبو لغد : تهويد فلسطين : ص ٥٠ ، ٥١ .

معها — فعالة ومجدية أفاد منها الصهيونيون بالأمس ، ويفيدون منها اليوم ، وربما سيجنون ثمارها غدا .

وبنفس الأسلوب اقترح هرتزل على اللورد لانسدون وزير خارجية بريطانيا ، السماح للصهيونيين بإقامة مستعمرات فى وادى العريش وسيناء ، حتى تكون شبه جزيرة سيناء « مركزاً لتجميع الشعب اليهودى فى جوار فلسطين» . وقاعدة عسكرية تمكن للصهيونيين استخدامها كنقطة هجوم على فلسطين متى حان الوقت[1] .. ومرة أخرى ربط هرتزل مشروعه بالمصالح الاستعمارية البريطانية فى المنطقة ، حيث علل مشروع استعمار العريش وسيناء بقوله إن بريطانيا « سوف تجنى ازديادا فى قوتها وامتنان عشرة ملايين من اليهود » وكذلك قوله لتشمبرلين : « عندما نصبح تحت راية البريطانية فى العريش ، فإن فلسطين سوف تقع أيضاً ضمن دائرة النفوذ البريطانى[2] » .

ورغم أن الوزيرين البريطانيين أبديا اهتماما بالموضوع ، فقد تحطم أمل هرتزل فى استعمار سيناء والعريش ، بسبب معارضة لورد كرومر القنصل البريطانى العام فى مصر لمشروع جر مياه النيل إلى صحراء سيناء[3] . وهكذا انتهى المشروع المصرى .

ولم تنته محاولات هرتزل للوصول إلى هدفه فقد ظل يتصل ويفاوض ، ويسافر من عاصمة أوربية لأخرى ، فمثلا قام فى مطلع أغسطس (آب) سنة ١٩٠٣ ، بعد فشل مشروع العريش ، برحلة إلى العاصمة الروسية بغرض حمل الحكومة القيصرية على التدخل الفعلى لدى السلطان العثمانى ليسمح للصهيونية باستعمار فلسطين (باستثناء الأراضى المقدسة) ، كما أنه طالب الحكومة بأن تسمح بهجرة اليهود إلى فلسطين ،

---

(١) عبد الوهاب الكيالى ، المطامع الصهيونية ، ص ٣٩ — ٤٤ .

(٢) مقالة : ستيفانز ، فى إبراهيم أبولغد ، تهويد فلسطين ص ٥١ .

(٣) Diaries, Vol. 4, p. 1486.

وبالسماح لقيام جمعيات صهيونية فى أوساط يهود روسيا .. وواضح أن هرتزل كان يخدم فى كل ذلك أغراض مؤتمر بال . وفى أثناء وجوده فى روسيا جاءه الاقتراح الذى تقدمت به الحكومة البريطانية بشأن استعمار يهودى فى يوغنده . والاقتراح الذى صاغه عضو البرلمان الإنجليزى دافيد لويد جورج ، مقدم من وزير المستعمرات البريطانى تشمبرلين (١).

ومشروع يوغنده مشروع هام فى تاريخ الحركة الصهيونية ، إذ أنه أدى إلى شقها وحدوث خلافات حادة بين قادتها يوم نوقش المشروع فى المؤتمر الصهيونى السادس فى بال، أغسطس (آب) ١٩٠٣، والخلاف الذى أثاره مشروع تشمبرلين فى المنظمة الصهيونية كان بين «اليوغنديين» أو الصهيونيين السياسيين من جهة وبين« الفلسطينيين » أو العمليين من جهة أخرى ، وهو خلاف ليس على جوهر الفكرة الصهيونية وإنما على أساليب العمل ، إذ انتقد الصهيونيون العمليون ، والصهيونيون الروس سياسة هرتزل والنهج الذى سار عليه ، حيث أن أساليبه السياسية والدبلوماسية قد فشلت فى نظرهم فى حل المسألة اليهودية ، وقد اتخذت هذه المعارضة شكلا واضحا بعد المؤتمر حين كوّن أعضاؤها تنظيما خاصا بهم سموه« القسم الديمقراطى الصهيونى(٢) » .

وستلعب هذه المجموعة دورا هاما فى توجيه نشاط الحركة الصهيونية بعد موت هرتزل فى سنة ١٩٠٤ ، وسيسيطر قادتها بما فيهم حاييم وايزمان على تلك الحركة ، خاصة بعد المؤتمر السابع الذى انعقد فى بال سنة ١٩٠٥ بعد وفاة هرتزل ، والذى تخلى عن المشروع اليوغندى ، وتمسك بفلسطين هدفا ووطنا يسعى اليهود إلى استعماره بشتى الوسائل العملية والسياسية(٣).

---

(١) مقالة : ستيفنز ، فى إبراهيم أبو لغد ، تهويد فلسطين ، ص ٥١ ، ٥٢ .

(٢) لتفاصيل النزاع حول المشروع اليوغندى ونتائج ذلك ارجع إلى
Esco, Palestine, Vol. I, pp. 45 - 51.

(٣) Ibid, pp. 49 - 50.

وليست أهمية المشروع اليوغندى فى الخلاف بين قادة الحركة الصهيونية ، وسيطرة الجناح « العملى » عليها ، فقط ، وإنما فى بروز حقيقتين هامتين وهما : أن قبول هرتزل وآخرين اقتراح استعمار يوغنده ، والنظر له بجدية كبديل عن فلسطين ، دلل بوضوح على علمانية الحركة الصهيونية ، كما أن الاقتراح أشار بجلاء إلى استعداد لدى الساسة الإنجليز بالتعاطف والتأييد مع الأهداف الإقليمية الصهيونية ، وهو مادعى حايم وايزمان ورفاقه للتركيز بشدة على بريطانيا لنيل سندها لخططهم الصهيونية ، فى الفترة ١٩٠٤ — ١٩١٧ . وقد أتى مجهودهم ثماره يوم أعلن بالفور وعده لصالح الصهيونيين وآمالهم فى فلسطين .

الواقع أن محاولات هرتزل الديبلوماسية للوصول بالصهيونية إلى أغراضها لم تقف بظهور المشروع اليوغندى ، وإنما استمرت حلقاتها متصلة حتى موته فى ١٩٠٤ . فقد زار البابا فى روما فى يناير (كانون الثانى) سنة ١٩٠٤ مثلا ، لكسب سند البابا للمشروع الصهيونى ، ولكن البابا أكد لهرتزل أنه لا يمكنه مساندة الحركة الصهيونية أو منع اليهود من الذهاب للقدس[١] . كذلك حاول هرتزل كسب سند ملك ايطاليا للمطلب الصهيونى ، ولاستعمار طرابلس الغرب[٢] . ولم يستسلم هرتزل للفشل وإنما اتبع أساليب أخرى ، كمحاولته الحصول على مستعمرات من البرتغال وبلجيكا — بطرق شرائية — ومبادلتها بالأراضى التى ينشدها جوار فلسطين[٣] .

هذه المحاولات الديبلوماسية لكسب الضمان الدولى لدولة اليهود فى فلسطين التى فصل فيها هرتزل فى مذكراته ، تشير إلى محاولة — هى ظاهرة تاريخية غريبة (وربما أصيلة) فى عملية بناء الشعوب .. كما انها أشارت بوضوح

---

(١) Diaries, Vol. 4, p. 1520.

(٢) Ibid, pp. 1600 ff.

(٣) عبد الوهاب الكيالى ، المطامع الصهيونية ، ص ٥٣ .

إلى عدم احترام هرتزل لأخلاقيات المبدأ القومى القائل بأن للشعوب حقوق، وأن لها ولاءاً واحتراما لمقدراتها ولأرضها لن تتخلى عنها بسبب المنفعة المادية. حتى وإن كان ذلك مال اليهود وذهبهم .. وإن دل ذلك على شيء فربما يدل على خلو هرتزل من العاطفة القومية، ومن ثم عدم تفهمه لتلك القيم الأخلاقية والقومية، وتركيزه الشديد على فعالية الفائدة المادية، وأن سلطان المال والمنفعة هو الكرت المقنع والرابح فى النهاية، وهو فكر لازال قادة الصهيونيين الحاليين يعتقدونه ويمارسونه خاصة فى حديثهم عن اللاجئين العرب، والتعويضات لهم وما شابه.

كما يتجلى عدم احترام هرتزل ومن خلفوه للمبدأ القومى، فى محاولتهم الحصول على فلسطين لقومهم دون الآخرين. وكأنما فلسطين خالية من السكان. وهذا التجاهل التام لحقوق أهل فلسطين سمة واضحة بارزة فى أساليب العمل الصهيونى من ظهور الحركة فى بال، وإلى يومنا هذا[1].

وحقيقة أخرى تجدر الإشارة إليها وهى أن هرتزل لم يكن فى كل وسائله السياسية والدبلوماسية متأثراً أو مدفوعا بروح عصره، وإنما بارتباطاته الفكرية والسياسية والبيئية وبحركة الاستعمار الأوربى آنذاك[2]، والتى ربط بها حركته الصهيونية، ومن ثم لم يكن غريبا أن تودد هرتزل للدول الأوربية ذات الشأن، وربط مشاريعه وأساليب عمله بها، وبمطامعها ومصالحها الاستعمارية. ويكفى القول أن هرتزل كان يرى أن إقامة دولة فى فلسطين لن يفيد دولة أوربية واحدة وإنما كل أوربا. ذلك أنها ستكون جسراً حضاريا بين الشرق والغرب، وإنما ستكون منارا للحضارة فى ربوع البربرية الآسيوية[3]. هذه النظرة الناجمة عن شعور بالتعالى الحضارى، هى نظرة

---

(١) راجع أسعد رزوق: الصهيونية وحقوق الإنسان العربى ج ١ — ٢.

(٢) Jansen, Zionism, Israel, pp. 99 ff.

(٣) Ibid, also, Diaries, p. 338.

اسرائيل الحالية لغيرها من سكان المنطقة ، وهى بالتالى نظرة الأوربيين لإسرائيل .

خطة العمل الجديدة :

وبموت هرتزل فى سنة ١٩٠٤ لم تكن الحركة الصهيونية قد خطت خطوات كبيرة نحو استعمار فلسطين ، كما كانت أقل نجاحا فى جهودها السياسية للحصول على إذن رسمى وضمانات دولية لاستعمار فلسطين . وإزاء هذا الفشل وبسيطرة الصهيونيين العمليين على المنظمة الصهيونية ، غيرت الحركة خط سيرها وانتقلت بالمضى فى مشاريعها الاستعمارية على أساس سياسة الأمر الواقع ، مقتدية بقول أحد هاعام « إن خلاص اسرائيل لن يأتى عن طريق الديبلوماسية(١) » . وبرأى قائدها الجديد حايم وايزمان القائل بأن النشاط الديبلوماسى مهم ، وتزداد أهميته عن طريق الإنجازات الفعلية فى فلسطين(٢) .

ومن ثم أدرك الصهيونيون العمليون أن الاستعمار الاقتصادى ضرورى لكل اعتراف سياسى ، وأن حق اليهود التاريخى فى فلسطين غير كاف لإقناع الدول الكبرى حتى تؤيد الحركة الصهيونية . وأنه على اليهود التركيز على « نظرية الحق القائم على المنجزات (٣) » بدلا عن الحق القائم على القانون . أدركوا أنه متى تم لهم ترسيخ أقدام الاستعمار الصهيونى فى فلسطين ، فستعتبر مسألة الاعتراف السياسى بالواقع أمراً شكليا . ومن ثم شهدت هذه الفترة منذ حوالى سنة ١٩٠٦ وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى ، استعمارا جديا ، دون الحصول على ضمان من أى دولة أوربية ، وتركيزاً أكثر على العوامل الاستراتيجية والسياسية فى اختيار مواقع المستعمرات الجديدة .. وأهم من

---

(١) أسعد رزوق : الصهيونية وحقوق الإنسان العربى ج ٢ ص ١٢ .

(٢) Chaim Weizmann, **Trial and Error**, N.Y., 1919, p. 122

(٣) أسعد رزوق : الصهيونية وحقوق الإنسان العربى ج ٢ ص ١٢ وما بعدها .

ذلك فقد شهدت ارتفاعا فى حدة العامل القومى لدى المستعمرين الصهيونيين، وازديادا فى غمط حقوق عرب فلسطين والتميز ضدهم . إذ أن الاكتراث لتلك الحقوق قد يتعارض مع نظرية فرض السيطرة الصهيونية ، والتغلغل الاقتصادى فى فلسطين[1] . والتى من أجلها أقيمت عدة منشآت اقتصادية صهيونية ، مثل المصرف اليهودى ، والصندوق القومى اليهودى اللذين أشرنا إليهما آنفا ، ومثل « مكتب فلسطين » الذى أنشىء فى يافا سنة ١٩٠٨ تحت إدارة العالم الصهيونى آرثر روبين . وربط بلجنة العمل الصهيونية ، وكان غرضه تنسيق كل النشاطات الصهيونية .. وقد جرت كل هذه الخطط فى إطار الالتزام ببرنامج العمل الذى أقره المؤتمر الصهيونى السابع فى سنة ١٩٠٥ ، بعد أن رفض مشروع يوغنده والانصراف لتطوير المستعمرات القائمة فى فلسطين والإضافة لها حتى تصبح أساسا وقاعدة للاستعمار الصهيونى هناك[2] .

هذه السياسة الرامية إلى ادعاء ملكية الأراضى بفعل استعمارها واستغلالها بنجاح وسيلة عمل صهيونية حقق بها أهلها أغراضاً عدة : أولا — تجاهل حقوق أهل فلسطين . ثانيا — كسب تأييد الدول للهدف الصهيونى فى فلسطين، وذلك عن طريق الاقتناع الفعلى بنجاح التجربة الاستعمارية فى فلسطين ، ثالثا — اخضاع فلسطين بفضل سياسة الواقع الفعلى هذه للنفوذ الصهيونى الاقتصادى[3] . رابعا — استعمالها كسلاح دعائى يصور عجز أهل فلسطين وعزم الصهيونيين ، بإرجاع كل ما أحرزته بلاد فلسطين من تقدم فى تلك الفترة والفترات التى تلتها إلى المبادرة الصهيونية ، وأن الوجود الصهيونى فى فلسطين ضرورى لتقدمها ، ورفاهية أهلها ، وتقدم المنطقة العربية كلها ..

---

(١) نفس المصدر ، أنظر أيضاً فايز صايغ : الاستعمار الصهيونى فى فلسطين ص ١٥ .

(٢) أسعد رزوق : الصهيونية وحقوق الإنسان العربى ، ج ٢ ص ١٦ .

(٣) نفس المصدر ص ١٤ .

وهو سلاح دعائى فعال لازالت اسرائيل تستعمله اليوم وبنجاح ملحوظ .. ولازالت اسرائيل تتبع السياسة التى اختط جوهرها الصهيونيون العمليون بعد موت هرتزل والتى فصلنا فيها سابقا .

بقى أن نشير أنه رغم جهود العمليين ، وتركيزهم على الاستعمار الجدى لفلسطين لم تكن هذه الموجة الثانية من الاستعمار بأنجح من الموجة الأولى من حيث المهاجرين وحجم المستعمرات ، وإن بدأت بعض معالم تحول ديمغرافى فى فلسطين تلوح فى الأفق . ورغم ذلك فقد كان نجاح الصهيونيين عند اندلاع الحرب العالمية الأولى محدوداً ، إذ لم يزد عدد اليهود القدامى والجدد فى فلسطين فى سنة ١٩١٤ عن ٦٠,٠٠٠ يهوديا من مجموع السكان البالغ ٦٨٩,٢٧٢ نسمة[١] وكانت أملاك اليهـود آنذاك لاتزيد عن ٢½٪ من أراضى فلسطين ، مضافا إلى كل ذلك فإن الحركة كانت قد فشلت حتى سنة ١٩١٤ فى نيل اعتراف سياسى[٢] .

الصهيونية والحلفاء الغربيون ١٩١٤ — ١٩١٧ :

رغم أن الحرب العالمية الأولى واجهت الحركة الصهيونية بمشاكل عدة[٣] ، إلا أنها كانت فرصة سانحة لها ونقطة تحول فى تاريخها ، فقد دخلت الامبراطورية العثمانية المسيطرة على فلسطين الحرب ضد الحلفاء ، وبدأت بعض العناصر فى الحكومة البريطانية تقبل الصهيونية وتبحث عن طريقة لاستخدامها ، بعد أن تخلت بريطانيا عن سياستها التقليدية نحو الامبراطورية العثمانية الرامية

---

(١) جانيت ل . أبو لغد : « التحول الديمقراطى لفلسطين » فى كتاب إبراهيم أبو لغد « تهويد فلسطين » ص ١٥٦ — ١٥٩ .

(٢) فايز صائغ ، الاستعمار الصهيونى ص ١٥ .

(٣) أنظر إبراهيم أبو لغد تهويد فلسطين ، ص ٥٦ .

Also, Esco, **Palestine**, Vol. I, pp. 76 - 77.

إلى حفظ الكيان العثمانى .. كذلك كان بعض قادة الصهيونيين فى بريطانيا يرون أهمية تحالف الحركة الصهيونية مع بريطانيا ، لظنهم أن النصر سيكون إلى جانب الحلفاء .. وعليه فيمكن القول أن ظروف الحرب مهدت لتعاون وتحالف بين الامبريالية البريطانية والحركة الصهيونية ، إذ أنها أوجدت صلة وثيقة — وربما غير متكافئة — بين الصهيونية ومصالح بريطانيا الاستعمارية فى الشرق الأوسط(١) .

ولم يكن غريبا أن تربط الصهيونية نفسها بالمصالح البريطانية الاستراتيجية والاستعمارية فى منطقتى سوريا ومصر أثناء الحرب .. ذلك أن بريطانيا كانت — بالمقارنة مع الدولة العثمانية المسيطرة على منطقة الشرق الأوسط — هى القوة الكبرى ذات الحول والطول ، والتى تشير كل الدلائل إلى أنها ستكون القوة المنتصرة هناك .. ومن ثم لم يرتبط بها الصهيونيون فقط ، وإنما ارتبط بها بعض قومى العرب تحت زعامة الشريف حسين قائد الثورة العربية الكبرى .. وإن اختلفت أهداف ودوافع العرب وراء ذلك الارتباط عن دوافع الصهيونيين(٢) .

وتقوم أهمية حايم وايزمان (١٨٧٤ — ١٩٥٢) الذى أتى إلى انجلترا فى سنة ١٩٠٤ كأستاذ كيمياء فى جامعة مانشستر ، وبغرض خلق أصدقاء للحركة الصهيونية فى بريطانيا ، فى أنه أدرك أهمية وضرورة التحالف البريطانى — الصهيونى وأيقن أنه لابد لأى حركة قوميـــة تريد البقـــاء فى ظروف الحرب تلك من الارتباط بإحدى الدول الكبرى . ومن ثم فقد ارتبط العمل فى هذه المرحلة باسم وايزمان الذى كانت ترشحه لقيادة الحركة فى بريطانيا ظروف كثيرة ، فهو أحد الداعين إلى توافق ودمج كل التيارات الصهيونية ، وإلى ضرورة جمع الجوهر السياسى والعملى . وهو قد توطن انجلترا فى سنة ١٩٠٤ كما

---

(١) **Ibid**, pp. 74 - 75 ; also, **Jansen, Zionism**, Israel, pp. 99 ff.

(٢) **Starrs Orientations**, London, 1937, p. 173.
Also Jansen, Zionism, pp. 100 ff (check PP).

قلمنا ، وبدأ يتعرف على بعض ساستها من كل الأحزاب ، وبعض صحفيها ورجالها البارزين ، مثل معرفته وصداقته لأرثر جيمس بالفور الذى ارتبط اسمه بالوعد الشهير الصادر فى ٢ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩١٧ ، وإلى لويد جورج رئيس الوزراء فى سنة ١٩١٧ ، وعلى اسكوت رئيس تحرير جريدة المانشستر غارديان وعلى رئيس تحرير جريدة التايمز اللندنية ، وهما من كبريات الصحف إن لم تكونا أكبر صحيفتين فى بريطانيا ، وهكذا استطاع وايزمان أن يكسب أصدقاء نافذين فى بريطانيا لفكرته الصهيونية وبدأ يعمل مع تلك المجموعة من أجل الحصول على السند البريطانى الرسمى لأهداف الصهيونية الإقليمية فى فلسطين(١) .

والذى لاشك فيه أن جهود هرتزل السابقة كانت تمهيداً فعالا لنشاط وايزمان فى انجلترا ، والذى توج باصدار وعد بلفور ، ذلك أن هرتزل وإن كان قد فشل فى الحصول على مرماه المباشر ، فقد نجح فى انتزاع اعتراف بالقومية اليهودية ، وبالصهيونية كقوة ممثلة لهذه القومية ، ونجح أيضاً فى التركيز على انجلترا ، وعلى بعض ساستها ، وخلق بذلك استعدادا لتقبل الفكر الصهيونى ، أو على الأقل مساعدة الصهيونية فى مساعيهم .. لدرجة أن وايزمان كان يرى حين هاجر لانجلترا فى سنة ١٩٠٤ أن تلك الدولة هى أكثر الدول استعدادا لتقديم الدعم الفعال للصهيونيين(٢) .

وقد تجلت خطة وايزمان ومعاونوه فى بريطانيا فى مرحلة الحرب فى الآتى : توقع بانتصار الحلفاء ، وأن فلسطين ستكون من نصيب بريطانيا ، التى ستسهل استيطان اليهود هناك ، مما سيمكن للصهيونيين من السيطرة على فلسطين ، مقابل خدمتهم للمصالح البريطانية بحراسة قنال السويس ، وطرق

---

(١) A Tayler : **Prelude to Israel**, p. 12.
Also Esco, **Palestine**, Vol. I, pp. 79 - 80.

(٢) Weizmann, **Trial and Error**, pp. 123 - 124.

الامبراطورية فى الشرق[1] . وقد نفذت هذه الخطة بدقة ونجاح ، وتجدر الإشارة إلى أن ربط المخطط الصهيونى بمصالح الدول الأوروبية الاستعمارية هو شرط وسمة لازمت قدوم الصهيونيين إلى فلسطين وركيزة هامة من الركائز التى تقوم عليها السياسة الإسرائيلية الآن ، الداعية لقلق وخوف ساسة الشرق الأوسط ، الذين كثيراً ما اعتبروا اسرائيل الحالية رأس جسر للامبريالية الحديثة فى منطقتهم ، واعتبروها كيانا وتحديا خطيراً لمقدرات ومستقبل منطقة الشرق الأوسط .

ذلك التحالف مع مصالح بريطانيا فى المنطقة إبان الحرب ، لم يكن نابعا من فكر وايزمان وحده ، وإنما من بعض البريطانيين أنفسهم ، مثل هربرت صموئيل ، اليهودى البريطانى الليبرالى ، المتعاطف مع الآمال الصهيونية ، الذى اقترح فى ٨ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩١٤ على وزير الخارجية البريطانى لورد غراى فكرة إقامة دولة يهودية بمساعدة بريطانيا والولايات المتحدة . وبرر الفكرة بفائدتها للمصالح الاستعمارية البريطانية فى منطقة الشرق الأوسط . وقد عرض صموئيل فكرته على رئيس الوزارة اسكويث الذى لم يقم لها وزنا[2] .

لم يتخل صموئيل عن تمسكه بالفكرة ، إذ عاد وعدل اقتراحه الأول فى مذكرة ثانية قدمها لرئيس الوزراء اسكويث فى مارس (آذار) سنة ١٩١٤ ، وقد ناقش فيها الاحتمالات الخمسة لمستقبل فلسطين فى حالة انهيار الامبراطورية التركية[3] . ضم فلسطين لفرنسا ، أو الدولة العثمانية ، التدويل ، إنشاء دولة يهودية ، إقامة محمية بريطانية فى فلسطين . وقد رفض صموئيل

---

(١) **Ibid**, Chapters 7, 8, 12 - 15.
Esco, **Palestine**, Vol. I, pp. 79 - 82.

(٢) L. Stein, **Zionism**, London, 1925, p. 81, also in Esco, **Palestine**, Vol. I, p. 80.

(٣) مقالة ستيفنز ، فى ، إبراهيم أبو لغد : تهويد فلسطين ، ص ٥٧ – ٦٠ .

الاحتمالات الأربعة الأولى ، وأوصى بأن تصير فلسطين محمية بريطانية « على أن لايحرم اليهود من إقامة مستعمراتهم فيها ، والهجرة المنتظمة بحيث يتحول السكان اليهود إلى أكثرية مستوطنة فى البلاد مع مرور الوقت ، ويمكن إذ ذاك منحهم درجة من الحكم الذاتى[1] . وشجب صموئيل فكرة إنشاء دولة يهودية فى فلسطين ، لأن ذلك سيكلف الدعوة الصهيونية غاليا ، كما أن الأغلبية العربية تجعل تلك الفكرة غير عملية[2] .

ورغم إصرار صموئيل على الفكرة ، فإن ظروف الحرب كانت تقف فى سبيله وفى سبيل مجهودات وايزمان وأصدقاء الإنجليز لتحقيق المخطط الصهيونى فى فلسطين ، إذ أن مجهوداتهم كانت تصطدم بعقبتين :

١ — أن اسكويث رئيس الوزراء كان مرتبطا بسياسة إحلال العرب محل الأتراك كأصدقاء وحلفاء لبريطانيا فى المنطقة العربية .

٢ — أن بعض قادة اليهود فى انجلترا مثل ادوين مونتاغيو كانوا يعارضون المخطط الصهيونى كحل للمشكلة اليهودية ، ولايتفقون مع أمانى اليهود فى فلسطين[3] .

ورغم ذلك ظل وايزمان يعمل بشتى السبل ، على كسب ثقة بعض الوزراء البريطانيين بتفانيه فى عمله ككيميائى ، وباختراعه مادة الاسيتون المستخدمة فى المتفجرات ، وبعدم إثارته لمشكلة فلسطين فى هذا الأثناء .. وكانت الأحداث تسير لصالحه ، إذ وضح فى شتاء سنة ١٩١٥ — وربيع ١٩١٦ أن الوزارة البريطانية بدأت تقتنع بضرورة إعادة اليهود إلى فلسطين بصورة من الصور ،

---

(١) نفس المصدر ص ٥٨ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٧ ، ٥٨ .

Jansen, Zionism, pp. 109 - 110.

(٣) إبراهيم أبو لغد ، تهويد فلسطين ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

أحمد بهاء الدين ، إسرائيليات ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

وبضرورة إصدار تصريح يتعاطف مع آمال الصهيونيين[1] فبدأت تتصل مع بعض حلفائها تتحسس آراءهم حول الموضوع ، فاستشارت روسية فى سنة ١٩١٦ التى لم يعترض وزير خارجيتها على مشروع استيطان اليهود بفلسطين مادامت المصالح الدينية الروسية مرعية فى الأماكن المقدسة .. أما موقف فرنسا فلم يكن واضحا[2] .. وواضح أن الحركة الصهيونية بدأت تتحرك من جديد ، وبدأت تجد الجو الصالح بعد الخمول الذى لازمها فى السنتين الأولين من سنى الحرب . وأنها تخطت المرحلة الأولى — مرحلة بريطانيا فقط — ودخلت إلى حيز النشاط الديبلوماسى الأوربى والمشاورات بين الحلفاء[3] .

وقد ساعد الحركة الصهيونية كسبها فى سنة ١٩١٦ لمؤيد جديد هو مارك سايكس الرجل المسئول عن اتفاقية سايكس — بيكو السرية ، والتى قسمت المنطقة العربية إلى مناطق نفوذ بين فرنسا وبريطانيا ، كانت فلسطين فيها من حق بريطانيا .. مما أتاح المجال أمام الديبلوماسية الصهيونية لتواصل سعيها للحصول على فلسطين . خاصة وأن سايكس هذا كان يرى أن إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، سيجلب سند اليهود — لاسيما فى أمريكا — لجانب الحلفاء ، وربما يؤدى إلى دخول أمريكا الحرب لصالح الحلفاء . ومن ثم لم يكن غريبا أن ركز الصهيونيون على سايكس لمواصلة تبنيه وسعيه لآمالهم . ومحاولة إقناع الحكومة البريطانية بالدخول فى مفاوضات مباشرة مع المنظمة الصهيونية حول فلسطين[4] .

نجحت تلك المساعى يوم كلفت حكومة لويد جورج التى أعقبت وزارة اسكويث فى أواخر سنة ١٩١٦ ، مارك سايكس بالدخول فى مفاوضات

---

(١) Esco, **Palestine**, Vol. 7, pp. 82 - 83.

(٢) أحمد بهاء الدين ، إسرائيليات ، ص ٢٦ — ٢٧ .

Ibid.

(٣) Esco, **Palestine**, Vol. I, p. 855.

(٤) A. Taylor, **Prelude to Israel**, p. ....

مباشرة مع الحركة الصهيونية ، وليس هذا بغريب فقد كان لويد جورج صديقا لهم .. وكذلك كان وزير خارجيته بالفور . وقد كان تعاطف الرجلين مع أهداف الحركة الصهيونية بعوامل جد مختلفة(١) .

كان هدف الحكومة البريطانية فى تلك المفاوضات « هو كسب الحرب وتأمين المصالح البريطانية فى التسوية التى ستعقب الحرب(٢) » وكان هدف الصهيونية الحصول على سند القانون العام لأطماعهم الإقليمية فى فلسطين.. أى محاولة إقامة كيان قومى لليهود فى فلسطين بسند بريطانيا وتحت حمايتها ، وإباحة الهجرة إلى فلسطين دون قيد(٣) والملاحظ أن الصهيونيين قد تجاهلوا فى محاولتهم الوصول إلى هدفهم ، الوجود الفلسطينى تماما ، واعتقدوا أن أهل فلسطين لايكونون شعبا ، وأنه ليست لديهم حقوق تستحق الاعتبار ، وهى نظرة تصدى لها بعض قادة اليهود فى الحكومة البريطانية مثل مونتاغيو ، ودحضوها وتولوا فى تلك المفاوضات الدفاع عن حقوق أهل فلسطين ، كما عارضوا الفكرة الصهيونية كحل للمشكلة اليهودية(٤) . وقد كان لمعارضتهم أثر واضح فى تحقيق ومراجعة نص وعد بلفور النهائى ، مثل ذكر حقوق العرب فى الوعد (وان لم يذكر العرب بالاسم فى الوعد وإنما أشير إليهم « بالطوائف غير اليهودية المقيمة فى فلسطين ») وقد أبانت تلك المفاوضات(٥)

---

(١) مقالة ستيفنز ، إبراهيم أبو لغد ، تهويد فلسطين ، ص ٦٠ ، ٦١ .

(٢) للمفاوضات كلها ، أنظر : Esco, Palestine, Vol. I, pp. 85 - 95.

(٣) (أ) Stein, Bolfour Dedorate, p. 126.

(ب) إبراهيم أبو لغد ، تهويد فلسطين ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٤) Ibid.

(٥) Ibid.

(٥) لنقاش وافى لتلك المفاوضات ارجع إلى :

و . ت ، ماليسون (جوينور) : « تصريح بلفور ، تقييم فى نظر القانون الدولى »، فى إبراهيم أبو لغد : تهويد فلسطين ، ص ٨١ — ٩٨ .

تقارب وجهات النظر البريطانية والصهيونية .. واستعداد الصهيونيين للسير فى ركاب مصالح بريطانيا(١) .

وفى أثناء تلك المفاوضات امتد نشاط الصهيونيين إلى باريس وروما ، لكسب سند فرنسا وايطاليا والبابا لمشروعهم بعد كسب بريطانيا له ، وقد لعب ناحوم سوكولوف ، عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية ، وأحد المفاوضين الصهيونيين دورا بارزا فى كسب سند تلك الدول ، بما فيها روسيا .

كما يجب أن لاننسى تعاون المنظمة الصهيونية فى أمريكا تحت زعامة براندليس مع الجهود الصهيونية المبذولة فى لندن ، والسند الذى قدمته لها حين كسبت عطف الرئيس الأمريكى ويلسون على المطالب الصهيونية ، وقد أجرى براندليس — الذى كان على اطلاع بشأن المفاوضات الجارية فى لندن فى مايو (آيار) ١٩١٧ (بعد شهر من دخول أمريكا الحرب) « حديثا يبعث على الارتياح » مع الرئيس ويلسون ومع بلفور ، الذى زار أمريكا فى مهمة تتعلق بالحرب .. كما أن براندليس استطاع أن يكسب عطف بعض الشخصيات الأمريكية الرسمية مثل روبرت لانسينغ وزير الخارجية ، والكولونيل ادوارد م . هاوس كبير مستشارى الرئيس ويلسون . وكذلك نيوتن د. بيكر وزير الحربيـــة ، ويوسفوس دانيالز وزير البحرية(٢) . والذى لاشك فيه أن جهود براندليس ، والرسالة التى استطاع أن يقنع الرئيس ويلسون لبرسلها إلى لويد جورج بالموافقة على صيغة إعلان رسمى بريطانى يتعاطف مع آمال الصهيونيين ، كانت هى الخطوة الحاسمة فى إصدار تصريح بلفور ،

---

(١) لتلاق وجهات النظر البريطانية والصهيونية ارجع إلى :

أ — فايز صائغ : الاستعمار الصهيونى فى فلسطين ، ص ١٩ — ٢١ .

ب — Jansen, Zionis, pp. 118 ff.

(٢) مقالة ستيفنز ، فى إبراهيم أبو لغد تهويد فلسطين ص ٦١ ، ٦٢ .

إذ أنها قضت على تردد الحكومة البريطانية ، ولعبت دوراً حيويا إزاء اعتراضات بعض زعماء اليهود فى بريطانيا على آمال الصهيونيين .. وبذلك صفا الجو للوعد[1] .

كتب نص الوعد عدة مرات ، وجرى نقاش مستفيض لنصه بين المفاوضين الصهيونيين والبريطانيين ، والواقع أن نص الوعد النهائى أجيز بعد دراسة دقيقة لست مسودات ، اثنتين تمهيديتين ، وأربع مسودات أساسية ، حاولت الحكومة البريطانية فيها كلها التوفيق بين الأهداف الصهيونية ، وبين اعتراضات قادة اليهود المشتركين فى المفاوضات أمثال سير مونتاغيو ، وكلود مونتيفيورى .. والتى تركزت فى مناوءتهم للصهيونية وأهدافها ، ودفاعهم عن الحقوق المشروعة لأهل فلسطين .

وبعد اكتمال عناصر التأييد كلها لإصدار تصريح بالتأييد ، وجه اللورد بلفور بالنيابة عن الحكومة البريطانية فى الثانى من نوفمبر (تشرين الثانى)سنة ١٩١٧ الرسالة التالية إلى اللورد روتشيلد :

« يسرنى جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته ، التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود الصهيونيين وقد عرض على الوزارة وأقرته :

« إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جليا أن لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى .

« أكون ممتنا لو أبلغتم هذا التصريح إلى الاتحاد الفيدرالى الصهيونى[2] »

---

(١) نفس المصدر ص ٦٢ .

(٢) لتحليل عمل ممتاز لتلك المسودات ارجع إلى :
مقالة و . ت . ماليسون (جوينور) فى كتاب إبراهيم أبو لغد : تهويد فلسطين ، ص ٨٦ – ٩٨ .

واضح من صيغة هذا التصريح أنه تعمد الغموض ، كما أن الحكومة البريطانية لم تلزم نفسها رسميا بإقامة دولة يهودية ، وإنما تعهدت ببذل جهودها لتسهيل « إقامة وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى » ولم تتعهد بأكثر من ذلك اطلاقا .. فمثلا لم تتعهد الحكومة البريطانية بإعادة تأسيس فلسطين كوطن قومى لليهود ، كما كان يرجو الصهيونيون ، وصديقهم بلفور ، وقد تعمد التصريح الغموض ارضاءاً للشعور اليهودى المناوىء للصهيونية ، وربما حماية للحكومة البريطانية من الاحتجاجات العربية المتوقعة نظرا للتعهدات التى قطعتها تلك الحكومة على نفسها للشريف حسين بشأن الدولة العربية الكبرى[1] .

رغم أن التصريح لم يف بتوقعات وايزمان وأعوانه ، ورغم أن وايزمان وصفه « بأنه بنى على الهواء »[2] . فقد استقبله اليهود بتفاؤل بالغ ، واعتبروه بمثابة التمهيد لقيام الدولة اليهودية ، متمسكين بتفسير ابتدعه وايزمان للتصريح وأرضى به الصهيونيين حين قال « سوف يكون معناه بالضبط ما نجعل له نحن من معنى — لازيادة ولانقصان[3] » . ومن ثم حاول الصهيونيون — بنجاح — أن يحملوا التصريح أكثر مما يحتمل بحيث تجاهلوا تماما الفقرة التى تتحدث عن حقوق عرب فلسطين ، وتمسكوا بغيرها وفسروها كما يريدون ، ذلك أن الصهيونيين أمثال اسرائيل زانقويل ، وليونارد شتاين وغيرهما كانوا لايكترثون بوجود عرب فلسطين — وأقوالهما تدلل على ذلك ، مثل قول زانقويل الذى صار شعارا صهيونيا سار عليه زعماء الصهيونيين فى الماضى والحاضر ، سرت

---

(١) نفس المصدر ص ٦٢ ، ٦٣ .

Also, J.C. Hurewitz, ed., **Diplomacy in the Near and Middle East**, Princeton, 1956, Vol. II, p. 26.

(٢) لتحليل لمعنى الوعد ارجع إلى :
إبراهيم أبو لغد تهويد فلسطين ؛ ص ٩٨ — ١٠٠ ، وكذلك ص ٦٣ .

(٣) نفس المصدر ص ١٠٠ .

أيضاً . . Weizmann, **Trial and Error**, p. 302.

على ضوئه السياسة الصهيونية تجاه عرب فلسطين ، وهو: « إعطاء الأرض التى بدون شعب إلى الشعب الذى بدون أرض[1] » . ومهما حاول الصهيونيون تفسير وعد بلفور لصالحهم ، بمعنى أنه يرمى إلى إقامة دولة يهودية فى فلسطين ، فإن ذلك التفسير ، وذلك القصد ، لايتفقان مع صيغة ومعنى تصريح بلفور . ولعل ذلك التزييف ، وتجنيد كل سبل الدعاية الصهيونية لدعمه ، هو التحد الأكبر الذى واجهت به الصهيونية فلسطين وأهلها .. وبلغ التحدى نهايته يوم أعلن الصهيونيون قيام دولتهم اسرائيل فى مايو (آيار) سنة ١٩٤٨ . مستندين إلى الحق الذى أعطاهم له تصريح بلفور وأيده صك الانتداب ، فقد جاء فى نص قيام دولة اسرائيل الآتى :

« إن هذا الحق (للشعب اليهودى فى الانبعاث القومى داخل وطنه الخاص) فقد اعترف به تصريح بلفور الصادر فى ٢ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧ ، وأثبته من جديد صك الانتداب المقرر فى عصبة الأمم ، وهى التى منحت بصورة خاصة ، الموافقة الدولية على الصلة التاريخية بين الشعب اليهودى وأرض اسرائيل وعلى حق الشعب اليهودى فى إعادة بناء وطنه القومى[2]».

ولانود أن نردد ما قلناه إن هذا الغمط ، وإظهار الباطل بمظهر الحق ، وإيهام الناس بذلك ، هو وسيلة عمل صهيونية ، خدمت ولا زالت تخدم الصهيونيين ، وهذه ، مع الوسائل الأخرى والتى فصلنا فيها سابقا تكوّن سلسلة من التحديات للعرب كلهم ، كانوا فى فلسطين أو خارجها . ولعله من المجدى أن نشير فى ختام هذا المقال إلى حقيقة هامة تلعب الآن دورا أساسيا فى تاريخ ومصير منطقة الشرق الأوسط ، وهى أن الحركة الصهيونية بدأت فى أثناء الحرب العالمية الأولى تركز بصفة ظاهرة على أمريكا .. عن طريق براندايس

---

(١) إبراهيم أبو لغد ، تهويد فلسطين ، ص ١٠٤ = ١٠٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٧٧ .

وأعوانه هناك .. تركيزاً لعب – كما قلنا – دوراً حيويا فى إصدار تصريح بلفور .. ومع أن الحركة الصهيونية أبقت فى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى على بريطانيا مركزاً لنشاطها ، إلا أنها كانت تتجه باضطراد متزايد نحو الانتقال بنشاطها إلى أمريكا .. ذلك أن أمريكا بدأت تظهر كقوة رائدة ، وربما كقوة بديلة لنفوذ بريطانيا العظمى الذى كان فى تضاؤل مستمر ، وقد اكتملت حلقات ذلك التحالف الصهيونى الأمريكى الآن على نحو نراه ونحسه ونلمسه .

* * *